

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصح الأمة و دعى إلى الله حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران. 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدى، هدى محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها و كل مُحدثَةٍ بدعة و كل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون

إن الأيام العشر من ذي الحجة موسم من مواسم الطاعات و الخيرات، فيها يتنافس المتنافسون، و إليها يتسابق المتسابقون، حتى عدت هذه الأيام من أفضل أيام الدنيا. و على المسلم أن يحرص على ما ينفعه يقول الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل

عمران: ١٣٣

و من أسباب عِظَم هذه الأيام أن الحج يقع معظمه في هذه الأيام، أيام عشر ذي الحجة، ففي حديث جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أفضل أيام الدنيا أيام العشر - يعني عشر ذي الحجة - قيل: و لا مثلهن في سبيل الله؟ قال: و لا مثلهن في سبيل الله إلا رجلٌ عَقَرَ وجهه في التراب، و ذكر عرفة، فقال: يوم مباحة ينزل الله تبارك و تعالى إلى سماء الدنيا، فيقول: عبادي شعناً غُبراً ضاحين¹، جاؤوا من كلِّ فجِّ عميق، و يستعيزون من عذابي، ولم يروا يوماً أكثرنا عتيقاً و عتيقة من النار. لفظ البزار.

و عشر ذي الحجة فضلها عظيم بيّنه الله تعالى في كتابه، و بيّنه رسوله محمد صلى الله عليه و سلم في سنته، و من ذلك الفضائل الآتية:

هي الأيام التي أقسم الله تعالى بهال في كتابه بقوله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ الفجر: ١ - ٢

كما قال ابن عباس و ابن الزبير و غيرهم من السلف و الخلف.

و هي أيام عظيمة عند الله تعالى، و الأعمال فيها أحب إليه فيهن، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما من أيامٍ أعظمُ عندَ الله و لا أحبُّ إلى الله العملُ فيهنَّ منْ أيَّامِ العشرِ فأكثرُوا فيهنَّ منْ التسبيحِ والتهلِيلِ والتحميدِ والتكبيرِ. رواه أحمد و صححه أحمد شاكر. و هي أيامٌ أفضل من أيام عشر رمضان الأخيرة، فإن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قال: ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، و أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان، و بهذا يزول الاشتباه، و يدلُّ عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فُضِّلَت باعتبار ليلة القدر، و هي من الليالي، و عشر ذي الحجة فُضِّلَت باعتبار أيامه، إذ فيه: يوم النحر، و يوم عرفة، و يوم التروية. (كتاب زاد المعاد).

و من فضائل الأعمال في عشر ذي الحجة أنواع: فأداء الحج و العمرة في هذه الأيام من أفضل الأعمال. قال الله تعالى:

بارزين للشمس لا يظلم شيء¹

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٩٧﴾ آل عمران: ٩٧

قال النبي صلى الله عليه و سلم: مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. متفق عليه.
و صيام الأيام التسعة، أو ما تيسر منها من الأعمال الصالحة في هذه الأيام، لقول النبي صلى الله عليه و سلم: ما من أيام العمل الصالح فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر.
و الصيام من أعظم الأعمال الصالحة، وقد حث النبي صلى الله عليه و سلم عليه و رغب فيه و من ذلك قوله صلى الله عليه و سلم: ما من عبدٍ يصومُ يوماً في سبيلِ الله إلا باعَدَ اللهُ بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً.

و صوم يوم عرفة لغير الحاج: يكفّر السنة التي قبله و السنة التي بعده: فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ، و السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. رواه مسلم.
إذا دخل عشر ذي الحجة أمسك من أراد أن يضحى عن شعره، و بشرته، لحديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: إذا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحَى، فَلْيُمْسِكْ عَنِ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ. رواه مسلم و في لفظ: فلا ياخذن من شعره و لا من أظفاره شيئاً حتى يضحى. رواه مسلم.

كثرة الأعمال الصالحة، من نوافل العبادات: كالصلاة و الصدقة، و القرآن الكريم، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الإحسان إلى الجيران، و صلة الأرحام و غير ذلك يُعدُّ أيضاً من الأعمال الصالحة.
أيضاً الحرص على أداة صلاة العيد لغير الحاج، و التبكير إليها و استماع الخطبة، فإنها من أعظم شعائر الإسلام، و لعظم شأنها أمر بها النساء حتى الأبقار، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: كُنَّا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نخرج الحيض فيكنّ خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم، و يدعون بدعائهم، و يرجون بركة ذلك اليوم و طهرته. و لي لفظ: و أمر الحيض أن تعتزلن مصلى المسلمين. رواه البخاري. و تشرع الأضحية في يوم النحر و أيام التشريق، و هي سنة أبينا إبراهيم

عليه الصلاة والسلام حين فدى ولده بذبح عظيم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ الصافات: ١٠٧

و قد ثبت أن النبي صلى الله عليه و سلم ضحى بكبشين أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى و كبر و وضع رجله على صفاحهما.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين، فرأيته واضعاً قدمه على صفاحهما، يسمي ويكبر، فذبحهما بيده. رواه البخاري.

و قد قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿٢﴾ الكوثر: ٢

إن الحج يذكر المسلم بالموت والانتقال إلى الآخرة، و ذلك إذا تجرد من ثيابه، و لبس الإحرام الذي يشبه الأكفان، و رأى: بأن الرئيس و المرووس، و الملك، و الوزير، و الغني، و الفقير، و العربي و الأعجمي، و الأسود و الأبيض، و الصغير والكبير، كلهم لباسهم واحد، و لا فرق بينهم في ذلك، هذا يُذكر بخروج الإنسان من الدنيا، و لا يحمل معه إلا هذه الأكفان، و التي تبلى بعد ذلك سريعاً، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ الأنعام: ٩٤

فالحج يذكر بيوم القيامة، لأن الحاج إذا رأى جموع الحجاج قد جاؤوا من كل فج عميق، و من كل طريق بعيد، و اجتمعوا للطواف بالبيت العتيق، و انصرفوا من اجتماعهم بعد الصلوات يُذكر بهذا الاجتماع، و هذا الانصراف يوم القيامة، و انصراف الناس بعد ذلك كما قال الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ الزلزلة: ٦ - ٨

و كذلك اجتماع الحجاج في عرفة في صعيد واحد، في يوم واحد، بلباس واحد، بأعداد كثيرة هائلة، يُذكر المسلم بيوم القيامة، و اجتماع الناس جميعاً في عرصات القيامة، لا ينفعهم إلا ما قدموا، في هذا اليوم العظيم الذي لا ينفع في مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فإذا رأى المسلم العاقل هذه الجموع ذكره بهذا اليوم العظيم، و لأن قلبه، و استعداد للقاء الله تعالى. و الله المستعان.